

اكتساب اللغة عند الطفل - المراحل والعوامل المؤثرة في النمو اللغوي المبكر -
Language acquisition in children – stages and factors affecting
early language development

نويجم مسعودة

جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)، m.nouidjem@univ-djelfa.dz

تاريخ الاستلام: 2025/06/24 تاريخ القبول: 2025/11/01 تاريخ النشر: 2025/11/01

Abstract:

Language is considered the most important means of communication in human life, through which we express our needs, desires, and ideas. Language is acquired, meaning that a child learns it from his or her surroundings, regardless of the languages and environments. Children begin acquiring language from the second or third month of life. At this age, the child makes some simple sounds and letters. These sounds may or may not be understandable, depending on the child's age and development. However, they are important because they are considered the child's first attempts at using language. Children are usually able to understand simple language or words between the ages of six and eight. Therefore, talking to children frequently, reading to them, and engaging in dialogue with them in simple, clear language that is appropriate to their understanding are among the most important ways to help a child acquire language and enhance their linguistic development.

Key words: Language acquisition - Child - Environment - Mother.

الملخص:

تعتبر اللغة وسيلة التواصل الأهم في حياة الإنسان، يعبر بها عن حاجاته ورغباته وأفكاره، واللغة مكتسبة، أي أن الطفل يكتسبها من محيطه، على اختلاف اللغات والبيئات، ويبدأ الطفل في اكتساب اللغة منذ الشهر الثاني أو الثالث من عمره، وفي هذا العمر يصدر الطفل بعض الأصوات والحروف البسيطة، وقد تكون الأصوات مفهومة، وقد تكون غير مفهومة، حسب سن الطفل وتطوره، لكنها مهمة لأنها تعتبر أولى محاولات الطفل لاستعمال اللغة، ويتمكن الطفل من فهم اللغة أو الكلمات البسيطة بين سن السادسة والثامنة عادةً. لذلك، كان التحدث مع الأطفال بشكل متكرر والقراءة لهم، وفتح الحوارات معهم بلغة بسيطة واضحة، تتناسب مع إدراكهم، من أهم الطرق التي تساعد الطفل على اكتساب اللغة وتعزيز تطوره اللغوي.

كلمات مفتاحية: الاكتساب - اللغة - الطفل - المحيط - الأم.

1. مقدمة:

مرحلة الطفولة من الفترات الحاسمة في حياة الإنسان، إذ تشهد تطورًا متسارعًا على المستويات الجسدية والعقلية واللغوية. وتلعب البيئة المحيطة دورًا كبيرًا في تشكيل قدرات الطفل اللغوية، بدءًا من الأصوات الأولى وصولًا إلى تكوين الجمل المعقدة. وتُعتبر اللغة الأم أول نظام رمزي يكتسبه الطفل، مما يجعلها الأساس في بناء إدراكه للعالم. ويشير العديد من الباحثين إلى أن اكتساب الطفل للغة لا يقتصر على التكرار والتلقين، بل يتطلب تفاعلًا اجتماعيًا دائمًا ومواقف لغوية متعددة السياقات. ومن الملاحظ أن الأطفال، حتى قبل استخدامهم للكلمات، يظهرون قدرة على التفاعل الصوتي والإيمائي، مما يعكس استعدادهم الطبيعي لاكتساب اللغة (بعلبي، 1990، صفحة ص 27). وتنقسم عملية الاكتساب إلى مراحل، تبدأ قبل النطق، وتستمر حتى يكتسب الطفل القدرة على التحدث بطلاقة. وتؤثر في هذه العملية عدة عوامل، بيولوجية، معرفية، أسرية، واجتماعية (خليل، 2003، صفحة ص 12) مما يجعل من الضروري تناول هذا الموضوع من زوايا متعددة لفهم آليات اكتساب اللغة لدى الأطفال.

2. مراحل اكتساب اللغة عند الطفل

يمر اكتساب اللغة عند الطفل عبر مراحل متعاقبة تبدأ منذ الولادة، وتُعد كل مرحلة منها تمهيدًا للمرحلة التالية. ولا يحدث هذا الاكتساب بشكل مقصود أو ممنهج، بل يتم تلقائيًا نتيجة التفاعل بين الطفل وبيئته المحيطة. وتتوزع مراحل الاكتساب إلى مرحلتين رئيسيتين هما: مرحلة ما قبل اللغة، والمرحلة اللغوية.

1.2. المرحلة ما قبل اللغوية (حساني، 2009، صفحة ص 114) (Pre-linguistic

(Stage

تُشير هذه المرحلة إلى الفترة التي تسبق نطق الطفل للكلمات المفهومة، وتتميز بصدر أصوات متنوعة تعكس تفاعله مع البيئة. وتنقسم هذه المرحلة إلى ثلاث مراحل فرعية:

1.1.2. مرحلة البكاء والصرخ:

تبدأ مباشرة بعد الولادة، حيث يصدر الطفل صرخته الأولى نتيجة دخول الهواء إلى الرئتين. ويُعتبر البكاء الوسيلة الأساسية التي يعبر بها الطفل عن حاجاته (الله، 2005، صفحة ص 55)، مثل الجوع أو الانزعاج. وتُعد هذه المرحلة أساسية في تحفيز الجهاز الصوتي وتحضيره للوظائف اللغوية المستقبلية.

2.1.2. مرحلة المناغاة:

تبدأ عادة من الشهر الرابع وتستمر حتى السابع، ويصدر خلالها الطفل أصواتاً مكررة (الله، 2005، صفحة ص 55) مثل 'با-با' أو 'ما-ما'. وتُعد هذه المرحلة انعكاساً لتطور قدرة الطفل على التحكم بعضلات الفم والحلق، كما تُعبر عن تفاعله العاطفي مع محيطه.

3.1.2. مرحلة التقليد:

في هذه المرحلة، التي تمتد تقريباً من الشهر السابع حتى نهاية السنة الأولى، يبدأ الطفل بتقليد الأصوات التي يسمعها من المحيطين به. وقد لا يكون كلامه واضحاً، لكنه يعكس محاولات جادة لمحاكاة النطق السليم. كما يستخدم الطفل حركات وإيماءات للتواصل، مثل الإشارة أو هز الرأس.

2.2. المرحلة اللغوية (Linguistic Stage) (النواتجة و إيمان طه، 2016، الصفحات ص 49- ص 50)

تُعد هذه المرحلة انتقالاً حقيقياً نحو استخدام اللغة المنطوقة. يبدأ الطفل خلالها في نطق كلمات مفهومة، ويتطور استخدامه للغة مع التقدم في العمر. وتنقسم هذه المرحلة بدورها إلى مرحلتين:

1.2.2. مرحلة الكلمة الأولى:

تبدأ غالباً مع نهاية السنة الأولى، حين ينطق الطفل كلمته الأولى ذات المعنى مثل 'ماما' أو 'بابا'. تدل هذه الكلمات على بداية تشكل المعاني في ذهن الطفل، ويبدأ بتوسيع حصيلته اللغوية تدريجياً، ويستخدم كلمة واحدة للدلالة على عدة معانٍ أو أشياء.

2.2.2. مرحلة الكلام الحقيقي:

في هذه المرحلة، التي تبدأ عادة بعد السنة الثانية، يُكوّن الطفل جملاً بسيطة من كلمتين أو أكثر، ويزداد فهمه لمعاني الكلمات والجملة. كما تظهر قدرته على التعبير عن رغباته والتفاعل الاجتماعي. وتستمر هذه المهارات بالنمو حتى بلوغه الخامسة، حيث يُصبح قادراً على التواصل بطلاقة مع محيطه.

3. نظريات اكتساب اللغة عند الطفل:

سعى علماء النفس و اللغة الى تفسير كيفية اكتساب الطفل للغة، فظهرت عدة نظريات تعكس تنوع توجهاتهم و اختلاف تجاربهم العلمية. وقد أدى هذا التنوع الى نشوء مجموعة من النظريات النفسية حول اكتساب اللغة من أبرزها ما يلي:

1.3. النظرية السلوكية:

"ظهرت المدرسة السلوكية على يد عالم النفس الأمريكي «جونبي واطسون» ليأتي من بعده عدد من علماء النفس الأمريكيين الذين أكدوا عليه وعملوا على انتشاره، مثل: «إدوارد ثورندايك» «كلارك آل هال» «إدوارد سي تولمان» ومن بعدهم «بي أف سكر»⁷. (النوايسة و إيمان طه، 2016، الصفحات ص 50- ص 51)

ويرى أنصار المدرسة السلوكية أن اللغة تشكل جزءا أساسيا من السلوك الإنساني العام، حيث يعتبرون أن الفرد يتعامل مع اللغة كما يتعامل مع أي نوع آخر من السلوك، فهم يعتقدون أن تعلم اللغة الأولى يحدث من خلال التفاعل مع البيئة، لذا يركزون على السلوك اللغوي الظاهر، أي تلك الاستجابات اللغوية التي يمكن ملاحظتها و تسجيلها و يربطون بينها و بين الاحداث أو المحفزات التي تسبقها و تؤثر فيها.

وهكذا يرون أن السلوك اللغوي الفعال هو الذي ينتج عن استجابة صحيحة لمثير ما، فإذا تغرزت هذه الإستجابة تحولت إلى عادة. ومعنى ذلك أن الأطفال ينتجون الاستجابات التي لقيت تعزيزا، سواء في الكلام أو في الفهم رغم أن الفهم يصعب إخضاعه للملاحظة." (الله، 2005، الصفحات ص 56- ص 57)

- رواد النظرية السلوكية:

سميت النظرية السلوكية بهذا الاسم لاهتمامها بالسلوك وهي من أشهر نظريات علم النفس، ومن بين أبرز روادها نذكر:

جون واطسون john broads Watson (1878-1958):

طبق «واطسون» نظرية «بافلوف» التي أجراها على الحيوانات نظرية -الإشراط الكلاسيكي-، إلا أن «واطسون» طبق هذه النظرية على البشر والتي سميت ب «الصغير ألبرت»*، ويعتبر «واطسون»

من أكثر المؤيدين لنظرية «بافلوف» في الولايات المتحدة الأمريكية حيث أقام على أساسها المدرسة السلوكية بعلم النفس في الغرب الأمريكي" (النوايسة و إيمان طه، 2016، صفحة ص 51)

فواطسون يرى بأن " الإنسان يولد وهو مزود بعدد محدود من المنعكسات وهي تمثل بمجموعها كل الحصيلة السلوكية لدى الإنسان ولكن من خلال الإشراط يمكن تطوير العديد من الارتباطات بين الميراث والاستجابات.

اكتساب اللغة عند الطفل- المراحل والعوامل المؤثرة في النمو اللغوي المبكر-

فهو يرى أنه من خلال الإشراف يتعلم الأفراد كيفية الاستجابة للعديد من المواقف الجديدة. لقد أجرى واطسون العديد من التجارب على الحيوانات والأفراد مستخدماً فكرة الإشراف ومن أشهر تجاربه بهذا الشأن تجربة الطفل آلبرت" (النوايسة و إيمان طه، 2016، الصفحات ص 52-ص53)

إيفان بافلوف Ivan Petrovitch Pavlov (1849-1936):

نظرية الاشتراط الكلاسيكي classical conditioning theory

" حيث يعود الفضل في ظهور هذه النظرية إلى العالم الروسي إيفان بافلوف Ivan Pavlov (1849-1936)، و الذي يعد الأب الروحي لنظريات التعلم الحديثة ، كرس معظم جهوده على الأبحاث الفسيولوجية ونال جائزة نوبل عام 1904 على أبحاثه عن الجهاز الهضمي، ثم تركز اهتمامه بعد ذلك على ما يسمى بالانعكاسات الشريفة وهي استجابات لا إرادية تحدث بعد مثيرات ليس لها صلة بهذه الاستجابة " (النوايسة ف.، 2013، صفحة ص31)

وقد" توصل عند نهاية القرن إلى سلسلة من التجارب درب فيها كلبا على إفراز اللعاب على صوت شوكة رنانة في إجراء عرف فيما بعد بالإشراف الكلاسيكي" (براون، 1994، صفحة ص37)

بوهروسكينر Burrhus Skinner (1904-1990):

نظرية الإشراف الفعال (الإجرائي) operant conditioning theory

من أبرز السلوكيين وأحد أشهر رواد النظرية السلوكية هو «سكينر » ، وترجع نظريته في السلوك الكلامي إلى نظريته العامة عن التعلم فيما يعرف بالإشراف الفعال ، وهو يشير إلى أن الجهاز العضوي ينتج عنصراً فعالاً دون مثير ملحوظ، وهذا العنصر يتعلم بالتعزيز فإذا قال الطفل 'أريد لبن' وحصل على ما يريد فإن هذا العنصر يتعزز ويقوى ويصبح اشتراطياً بالتكرار. ويرى سكينر أن السلوك اللغوي- كأى سلوك آخر - تتحكم فيه نتائجه، فهو يتعزز ويقوى حين تكون النتيجة مكافأة، أما إذا كانت عقاباً فإنه يذوي وقد ينطفئ، خاصة إذا غاب التعزيز" (حمدان، 1997، صفحة ص 37)

ويعني سكينر أنه عند تعزيز الاستجابة الإيجابية سيكررها الفرد بقبولها أما في حالة تعزيز الاستجابة السلبي فإن الفرد بدوره سيقوم بالتوقف عنها. وممن اشتهروا أيضاً باسمهم وتجاربهم من أصحاب النظرية السلوكية هم: إدوارد ثورندايك (1874-1949 Edward Lee

Edwin Ray (1959-1886)، ونظريته المحاولة والخطأ، وإدوين غيثري (1959-1886) Thorndike (Gethrie، إدوارد تولمان (1959-1886) Edward Tolman

2.3. النظرية اللغوية :

تسمى هذه النظرية أيضا بالنظرية العقلية ، وتقوم على أعمال «تشومسكي chomsky» أشهر علماء اللغة، وينطلق ببنائه لهذه النظرية من رفض مطلق للنظرية السلوكية، باعتبار أن القدرات العقلية التي يمتلكها الإنسان هي التي تميزه عن باقي الكائنات وهذه القدرات هي التي تم تغييرها لدى السلوكيين فالنظرية السلوكية لا تميز بين السلوك الإنساني والسلوك الحيواني ولذلك يرى تشومسكي أن اللغة تمثل سمة جوهرية تميز الإنسان عن غيره من الكائنات، إذ لا تخضع لمثيرات خارجية كما هو الحال في السلوك الحيواني، بل تعد بنية عقلية خاصة تعبر عن القدرة البشرية على التأمل و التفسير و التفكير بحرية.

وهي نظام مفتوح يتيح إنتاج عدد غير متناه من الجمل بخلاف النظام الإتصالي عند الحيوان الذي يتضمن عددا محدودا من الأصوات . وقد استمد تشومسكي أصوله الفلسفية للنظرية العقلية من فلاسفة القرن السابع والثامن عشر وعلى رأسهم الرياضي «نيكارت» الذي يرى بأن الإنسان يمتلك «قدرات فريدة لا يمكن تفسيرها تسير آليا وإن صلح هذا التفسير أحيانا فيميدان الوظائف الحيوية والسلوكية للإنسان، وأن أظهر هذه القدرات وأعظمها هي اللغة الإنسانية، التي لا تحدها أية ارتباطات أو قوالب تعبيرية ثابتة، نتيجة لمؤثرات أو حالات فسيولوجية، ومن ثمة فهي صورة للعقل البشري، باعتبار أداة عامة صالحة، لكي تلائم كل الحوادث والإحتمالات». وانطلاقا من هذا يرى تشومسكي بأن لإنسان قدرة عقلية تعد أنموذجا فريدا لا يمكن رده إلى أشياء أو عوامل خارجية، أن هذه القدرة تتمثل في الجانب الإبداعي والخالق من العقل البشري. (الزغلول، 2010، صفحة 64ص)

ثم إن النظرية اللغوية تركز في تفسيرها للتعلم عند الطفل من "أن الطفل يولد مهيا لاستعمال اللغة، فهو يمتلك نماذج تركيبية ذهنية، وهذه النماذج هي التي تكون الكليات اللغوية عند البشر، ثم إن هذه الكليات هي التي تشكل القواعد التركيبية الخاصة بلغة الطفل في مجتمع معين، فهي تمثل الكفاية الأولية التي تساعد على تحليلا لتراكيب التي يسمعها، ثم إعادة صياغة النظام القواعدي للغة الام هذه الكيفية هي التي تسمح للطفل بالتلفظ ببنى تركيبية لم يسمعها من قبل" (غزال، 2015، صفحة 100ص)

اكتساب اللغة عند الطفل- المراحل والعوامل المؤثرة في النمو اللغوي المبكر-

يرى «تشومسكي» أن الإنسان يولد ولديه القدرة التي تهيأه على اكتساب اللغة، فالأطفال يولدون مجهزين بمجموعة من القواعد حول اللغة في عقولهم أي أن اكتساب اللغة عند الطفل هو قدرة فطرية .

3.3. النظرية المعرفية:

اهتم رواد النظرية المعرفية بالنمو المعرفي كأساس لجوانب النمو المختلفة، وقد أسهم العديد من الباحثين في التأسيس للنظرية المعرفية، من بينهم: «ماكس فرتهمير max Wertheimer (1880-1943)» و«ولفانجكوهرل Wolfgang Kohler (1887-1967)» وأيضا «كورت كوفكا Kurt Koffka (1886-1941)». ويعتبر **جان بياجيه Jean Piaget (1896-1980)**: العالم السويسري الرائد الأول للمدرسة المعرفية وقد أسس نظريته الخاصة "المعرفية النمائية" وتمثل " نظرية بياجيه إحدى النظريات الرئيسة للمعرفة حيث يشار إليها بنظرية المعرفة الوراثية - Genetieepistemology - ولا يعني بياجيه بهذا الوراثة البيولوجية للمعرفة، بل التطور البيولوجي (النفس فيسيولوجي - الدماغى) لقدرات الإدراك والذكاء والتعلم الذي يتاح للفرد عبر مراحل عمرية متتابعة ويؤهله في كل مرحلة لتحصيل صيغ محددة من المعرفة ومن ثم التكيف البيئي المطلوب" (براون، 1994، صفحة ص 84)

وتعد نظرية بياجيه أولى النظريات التي تتبع التطور المعرفي للفرد بطريقة منظمة. ومن أكثر النظريات التي حظيت باهتمام الباحثين في ميدان علم النفس عموما وعلم النفس التطوري خصوصا، لما قدمته هذه النظرية من تفسير عميق وشامل للتطور المعرفي عند الإنسان . اعتقد بياجيه أن الأطفال كائنات نشطة تبني معرفتها بنفسها ، كما أن الأطفال لا يرون الأشياء كما يراها الكبار ولاحتى كما يراها الأطفال الأكبر أو الأصغر منهم بقليل، فهم يعتقدون أن الأحلام تأتي إليهم أثناء نومهم من النافذة، أن الشخص الأطول أكبر سنا من الشخص الأقصر، وأن الأشياء تقاس بعددها وليس بحجمها، مثل هذه الملاحظات أثارت قناعات راسخة لديه بأن ما نسميه نحن معرفة هو أكثر من مجرد نسخة عن الحقيقة فنحن نقوم بشكل نشط ببناء ما نعرفه عن العالم المحيط بنا، وننظم فهمنا لهذا العالم بطرق مختلفة نوعيا حسب العمر الذي نعيشه في ذلك الوقت، إذ أن لكل مرحلة عمرية طريقة مختلفة في التفكير، فبدلا من النظر إلى إدراك الطفل على أنه خاطئ، يجب أن ننظر إليه على أنه يعكس المنطق الذي يتبناه الطفل لذاته وينظر من خلاله إلى عالمه ويفسره بطريقته الخاصة" (براون، 1994، صفحة ص 37)

تركز نظرية بياجية على العوامل العقلية الداخلية المنظمة في عملية اكتساب الطفل للغة، حيث يفترض أن الطفل يتعلم التراكيب اللغوية من خلال بناء فرضيات ذهنية مستندة إلى النماذج اللغوية التي يسمعها في بيئته. ثم يقوم باختبار هذه الفرضيات عند استعماله للغة، ويعمل على تعديلها أو استبدالها عندما يصادف استعمالات لغوية لا تتوافق معها، مما يساعده في استخلاص قواعد لغوية جديدة.

فمثلاً، قد يستنتج الطفل قاعدة التنشئة في اللغة العربية عند تكرار سماعه لتركيبات مثل : "كتابان طويلان" أو "قلمان جديدان"، فيبدأ بتطبيقها على كلمات أخرى وإن لم يكن قد أتقن القاعدة بعد، مما يؤدي إلى ظهور بعض الأخطاء التي تعكس محاولته للفهم، كأن يقول "ولداني" بدلاً من "ولدان".

ويشير بياجية أيضاً إلى أن الطفل يبني فهمه لقواعد تركيب الجملة من خلال الملاحظة والتجريب، دون الحاجة إلى شرح مباشر للمصطلحات النحوية. فعندما يسمع عبارات مثل : "شرب الطفل الحليب"، يدرك تدريجياً دور الكلمات في الجملة، ويميز بين الفاعل والمفعول به، ما يظهر نمواً تدريجياً في وعيه اللغوي، حتى وإن كانت هذه العمليات تتم بصورة غير واعية أو تلقائية.

ويذهب بياجية إلى أن نمو المعرفة البشرية يكون سريعاً في الست عشرة سنة الأولى وأبطأ في الكبر، وقد حدد "جان بياجية إطاراً للنمو العقلي للطفل في مراحل متعددة: المرحلة الحس حركية من الميلاد إلى الثانية، والمرحلة قبل العلاجية من الثانية إلى السابعة، ثم المرحلة العلاجية من السابعة إلى السادسة عشر مع تغيير حاسم في الحادية عشر من مرحلة العلاج المحسوس إلى المرحلة العلاجية الشكلية". (حساني، 2009، صفحة ص 95)

وقد جاء اهتمام جان بياجية لدراسة سيروية اكتساب اللغة ضمن اهتمام أوسع يتجلى في تحديد الدائرة التكوينية التي تجمع بين اللغة والفكر ويؤكد بياجية أهمية التقليد المؤجل واللعب الرمزي والصورة الذهنية في اكتساب اللغة عند الطفل في إطار ما يسميه بالوظيفة الرمزية التي تتولد عن الارتقاء السيكلوجي للطفل وتسمح له باكتساب اللغة واستعمالها، وبفعل التنسيق للمخططات الحسية الحركية يصبح الطفل خلال المرحلة السادسة من النمو متمكناً من مخططات تمثيلية من قبيل التقليد المؤجل واللعب الرمزي التي تساعده على اكتساب اللغة، حيث تصبح الكلمة عبارة عن علامة ترمز إلى شيء معني قابل للتخيل والاستحضار، وهذا ما يؤكد

اكتساب اللغة عند الطفل- المراحل والعوامل المؤثرة في النمو اللغوي المبكر-

أن اللغة وعملية اكتسابها لا تخرج في نظرية بياجية عن كونها مظهرا من مظاهر الوظيفة الرمزية التي تضرب بجورها في نمو الذكاء الحسي الحركي الذي يركز بدوره على الفعل و التقليد". (حمدان، 1997، الصفحات ص 109-ص110)

عرفت الساحة العلمية ثلاث نظريات بارزة مفسرة لعملية اكتساب اللغة عند الطفل وهي: النظرية السلوكية ومؤسسها جون واطسون، وقد لمع فيها أيضا علماء بارزون أمثال: «إيفان بافلوف» و«ثورندايك» و«سكندر و تولمان» وغيرهم، وتقوم النظرية السلوكية على أساس الملاحظة والتجريب، ويرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة جزء من السلوك، في حين أن النظرية اللغوية قائمة على أعمال "تشومسكي" وهي من أهم النظريات اللغوية وقد عارضت النظرية السلوكية وتنطلق من رفض مطلق لها فتشومسكي يرى أن الأطفال يولدون ولديهم جهاز فطري لاكتساب اللغة ، أما النظرية المعرفية فيعتبر جان بياجية الرائد في مجالها، فبياجية يرى أنه مع تطور إدراك الأطفال للعالم من حولهم يصبح بمقدورهم اكتساب اللغة بشكل أكبر.

4. العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة عند الطفل:

إن مراحل اكتساب اللغة عند الطفل واحدة، إلا أن نمو لغته قد يتأثر بعدة عوامل تكون بعدة عوامل تكون بفعل الاختلاف بين الأطفال أنفسهم فهي إما عوامل بيولوجية أولها علاقة ببيئة الطفل أو وضعه الصحي كما قد تكون عوامل أسرية أو غيرها...

1.1. العوامل البيولوجية:

توصلت الأبحاث الحديثة إلى أن الأجهزة الصوتية المختلفة كعضلات الفم واللسان والحنجرة والشفيتين والأنف تصل في نموها السليم إلى المستوى الذي يمكنها من أداء وظيفتها قبل الميلاد .

كما يكون الطفل عند ولادته مزودا بأجهزة الاستقبال التي يستقبل بها ما يصدر عن غيره من لغة، أي أن أعضاء النطق مستعدة لأداء وظيفتها عند الولادة، وإن كانت لا تؤديها فعلا إلا بعد تمرين أو تدريب، فإذا تعرض الطفل لأي إعاقة بيولوجية عضوية أو بقصور في أداء الجهاز العصبي لديه، تأثر نموه اللغوي كما أن أي خلل في أجهزة استقبال اللغة ينتج عنه اضطرابات في النمو اللغوي. (غزال، 2015، الصفحات ص66-ص67)

بالإضافة إلى أن هناك من العلماء والدارسين في هذا المجال من توصل إلى "وجود علاقة ارتباطية بين أنماط السلوك الحركي والنمو اللغوي للطفل وأن التأخر في النمو الحركي قد يؤثر

على النمو اللغوي مثلما يحدث في إصابات النصفين الكرويين للمخ وكذلك الأسباب العضوية للحبسة الكلامية aphasia " .

2.4. عامل الذكاء والنمو العقلي:

إن من الأمور المتفق عليها العلاقة الوثيقة بين الذكاء والتفكير من ناحية والنمو اللغوي من ناحية أخرى، ومن الصعب تناول أحدهما دون ربطه بالآخر، وبالرجوع إلى اختبارات الذكاء، مثل اختبار "ستانفورد-بينيه وغيره، نجد أن الجزء الأكبر منه يتعلق باللغة . لا شك أن النمو اللغوي يلعب دورا هاما في النمو العقلي والمعرفي للطفل، فكلما نمت لغة الطفل وتطورت، كلما ارتفعت قدراته العقلية، لأن اللغة هي الأداة الرئيسية في نمو معلومات الفرد وأفكاره ومفاهيمه وقدرته على التعبير عنها وتطويرها. " (النوايسة و إيمان طه، 2016، الصفحات ص 41 - ص 42)

كما أنه مما لا شك فيه أن الحصيلة اللغوية الثرية تزيد من قدرة الطفل على الكلام و على التكيف النفسي والاجتماعي السليم و كيفية مواجهة المشكلات الحياتية مما ينعكس على تنمية القدرات العقلية لدى الطفل والعكس صحيح تماما بالنسبة للطفل الذي لديه محصول لغوي ضعيف.

وتؤكد ليلي كرم الدين (1993) أن اللغة تعتبر مظهر من مظاهر نمو القدرة العقلية بصفة عامة وأن الطفل الذكي يتكلم بشكل مبكر عن الطفل الأقل ذكاء هذا بالإضافة إلى أن هناك علاقة وطيدة بين الإعاقة العقلية و بين التأخر اللغوي. وعليه فالذكاء يرتبط بالنمو اللغوي و تأخر الكلام لا يستوجب بالضرورة تأخر الذكاء بل إن التأخر في الذكاء يستدعي التأخر في الكلام .

3.4. الجنس:

من العلماء و الباحثين من يعتبر أن جنس الطفل له علاقة بالنمو اللغوي، في حين هناك من لا يرى وجود لتلك العلاقة إذ لم تتفق الدراسات التي أجريت فيما يخص علاقة اللغة بجنس الطفل على نتيجة واحدة حول دلالة الفروق في النمو اللغوي بين البنين والبنات، فقد وجدت بعض الدراسات أن النمو اللغوي عند البنات أسرع مما هو عليه عند البنين ولاسيما في السنوات الأولى من العمر ، في حين أظهرت دراسات أخرى عدم وجود فروق بين البنين والبنات، ويبدو من النتائج التي خرجت بها أغلب الدراسات على وجه العموم أن

اكتساب اللغة عند الطفل- المراحل والعوامل المؤثرة في النمو اللغوي المبكر-

البنات يبدأن المناغاة قبل البنين، و أن قدرتهن على تنويع الأصوات أثناء المناغاة تفوق قدرة الذكور و يستمر تفوق البنات على البنين خلال مرحلة الرضاعة وفي كل جوانب اللغة (بداية الكلام، عدد المفردات اللغوية، طول الجملة ودرجتها في التعقيد، سهولة فهم الكلام، عدد الأنماط الصوتية المستخدمة) غير أن هذه الفروق تقل وضوحا وبروزا كلما تقدم في العمر . (براون، 1994، الصفحات ص66-ص67)

أما من وجهة من نظر من يجنون فروقا بين البنات والذكور في سرعة اكتساب اللغة و التي تعد لصالح البنات فيرى علماء الاجتماع أنها نتيجة راجعة لعوامل ثقافية ، فقد وجد أن الأمهات يتحثن إلى بناتهن في السن الصغيرة أكثر مما يفعلن ذلك مع أبنائهن الذكور، ثم إن المجتمع بصفة عامة يتقبل الكلام الكثير من الإناث أكثر من الذكور . (النوايسة و إيمان طه، 2016، الصفحات ص46-ص47)

ومن بين الدراسات أيضا بعض الأبحاث التي أجريت لتفسير تفوق البنات عن البنين بالنسبة للتحدث في السن الصغيرة، وبعد اكتساب القدرة على نطق الألفاظ والكلمات ، لاحظت أن النص المسيطر على وظيفة الكلام في المخ ينضج في وقت أبكر في البنات على البنين ، وبالتالي يساعد على الإسراع في إخراج الأصوات و في معدل اكتساب مهارة الحديث.

اتضح أن العلماء و الدارسين يختلفون في تفسير سرعة اكتساب اللغة، فمنهم من لا يرى فرقا بين الجنسين ، ومنهم من يرى أن اكتساب اللغة أسرع عند البنات نتيجة عوامل ثقافية أو اجتماعية ...

ويكون ذلك في المراحل العمرية الأولى، ليتم التماثل بين الجنسين فيما بعد سن السادسة .

4.4. العوامل البيئية:

من ذلك أن الحياة الاجتماعية التي يحياها الطفل و نوع المثيرات البيئية و الأفراد الذين يتعامل معهم كل هذا يؤثر تأثيرا ملحوظا في النمو اللغوي للطفل، فالأسرة تحتفظ بالصدارة في مجال تربية الطفل اللغوية ، ففي المنزل بعيش الطفل في كنف الأسرة و يكون تعبيره عن نفسه تعبيرا أساسيا إذ أن نشاطه الكلامي ينمو سريعا أكثر من أي مكان آخر .

وتشكل الاسرة اللبنة الأولى في بناء المجتمع، إذ تمثل البيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل، و تؤثر بشكل مباشر في تكوين شخصيته، الأمر الذي جعل علماء النفس يولونها عناية خاصة بوصفها النواة الأساسية في عملية التنشئة الاجتماعية.

و كما نعلم أن الطفل يميل لصوت أمه و يستجيب مبكرا لصوت الوالدين خاصة الأم فهي مصدر لإشباع حاجات الطفل البيولوجية و النفسية و لذلك يصبح صوتها جزءا أساسيا من خبراته فهو يشعر بالراحة لمجرد سماع صوت الأم و يبتسم بحركات جسمية تعبيراً عما يشعر به من سعادة ، ولا يقتصر الأمر على الحديث من جانب الطفل بل لابد من التفاعل الاجتماعي بينه وبين الوالدين حيث أن الطفل يقضي 6سنوات من عمره في علاقة حميمة مع أفراد الأسرة خاصة الوالدين، هذا يسهم إلى حد كبير في تشكيل شخصية الطفل وبالتالي لا يستطيع الطفل اكتساب حصيلة لغوية استقبالية و تعبيرية إلا إذا سمعها .

والأم حين تتكلم مع الطفل أو تغني له وبتكرر سماع الطفل لهذه الكلمات تصبح هذه الكلمات جزء من محصولة اللغوي ثم يبدأ الطفل في ترديد هذه الكلمات ليستشير الجهاز السمعي لديه و الأعصاب المختصة بمجال الكلام .

ومن جهة أخرى فإن من بين ما لاحظته العلماء و جود تأخر في النمو اللغوي لدى التوائم خلال مرحلة ما قبل المدرسة ، وقد وجد أنه إذا وصل عدد التوائم إلى ثلاثة (cripples).

فإنهم يكونون أكثر تأخرا في نموهم اللغوي من زوج التوائم، وقد جاءت دراسات عديدة مؤيدة لهذه النتائج، حيث يتأخر التوائم لغويا بين سنة وستة أشهر إذا ما قيسوا بغيرهم من الأطفال، ثم يختفي التأخر عند الالتحاق بالمدرسة، وقد يعود سبب هذا التأخر لما عندهم من لغة توائميه، إذ يقوم التوأم بتقليد أخيه التوأم الآخر، كما قد يقوم التأخر الظاهر على أساس ما بين التوائم من تعاطف وتقارب في كثير من الصفات، وعلى الخصوص حالة التوائم المتماثلة، وهكذا يتيسر الحديث بين التوائم بلغة الأصوات الفجة والإشارات، ثم إن التوأم يهيب لأخيه التوأم الآخر ارضاءات انفعالية اجتماعية شتى، وهكذا لا تنتهي النوازع الكافية لإتقان عملية الكلام كما هي معروفة في المجتمع.

5.4. العوامل الأسرية:

تُشكل الأسرة المحيط الأساسي الذي ينمو فيه الطفل، ولهذا من الضروري أن تسهم بشكل فعّال في إعداد بيئة تعليمية ملائمة، لا سيما خلال السنوات الست الأولى من حياته،

اكتساب اللغة عند الطفل- المراحل والعوامل المؤثرة في النمو اللغوي المبكر-

حيث تُعد هذه الفترة من أهم مراحل التكوين والتعلم. إلا أن هناك بعض العوامل المرتبطة بالأسرة قد تعيق مسار التعلم لدى الطفل، وتؤثر عليه سلبًا في نواحٍ أخرى من حياته، وغالبًا ما تكون هذه العوائق ناتجة عن أوضاع اجتماعية أو ضغوط اقتصادية تواجه الأسرة. إنَّ اختلاف العناصر البيئية يؤدي إلى تنوع المفردات اللغوية المرتبطة بها لذلك تختلف اللغات بعضها عن البعض لتنوع البيئة، هذا بالإضافة إلى أن الطبقات الاجتماعية تؤدي إلى التباين في القدرات اللغوية، والطفل الذي ينتمي إلى طبقة اجتماعية تعاني من نقص في المثيرات المادية غالبًا ما يعاني من نقص في الخبرات اللغوية مما يؤدي إلى العجز وعدم الاستفادة من أي مثيرات جديدة (الناشف، 2007، صفحة ص 42)

لا شك أن التفاوت الاجتماعي بين الأفراد قد يؤدي إلى اختلافات بينهم، غير أن ذلك لا يعني بالضرورة أن الطفل القادم من بيئة معينة يعاني من ضعف لغوي شامل. فقد يكون لهذا التفاوت أثر على بعض الأطفال دون غيرهم. والمقصود هنا ليس العجز الكامل عن اكتساب اللغة، بل الفرق في مدى غنى الحصيلة اللغوية لدى الأطفال. فالطفل يكتسب اللغة، لكنه قد لا يُظهر إبداعًا فيها أو طلاقة في استخدامها، ويعتمد ذلك إلى حد كبير على دور الأسرة في تحفيز نموه اللغوي وتعزيزه. ولا يشمل هذا الحديث الأسر ذات الوضع المتدني للغاية والتي تُهمل الجانب اللغوي تمامًا، إذ إن تلك الحالات تُعد استثناءً يتطلب معالجة من نوع خاص.

6.4. الوضع الصحي والحسي للفرد:

تُعد عملية اكتساب اللغة لدى الطفل نتاجًا لتكامل عدة عوامل جسدية ونفسية، حيث تلعب سلامة الأجهزة الحسية - السمعية والبصرية - بالإضافة إلى سلامة الجهاز النطقي دورًا محوريًا في هذه العملية. فكلما كان الطفل يتمتع بصحة جسدية جيدة ونمو طبيعي، وكان نشيطًا ومقبلًا على التفاعل مع بيئته، زادت فرصه في اكتساب اللغة بشكل أكثر سلاسة وفعالية. فالنشاط البدني لا يعزز المهارات الحركية فحسب، بل يساهم أيضًا في تحفيز الدماغ وتوسيع مدارك الطفل، مما ينعكس إيجابًا على تطوره اللغوي (الناشف، 2007، صفحة ص 42)

من جهة أخرى، لا يمكن إغفال أهمية الحالة النفسية في هذا السياق؛ فالطفل الذي يشعر بالأمان والدعم العاطفي يكون أكثر استعداداً للتعبير والتواصل، بينما قد يواجه الطفل الذي يعاني من التوتر، أو الإهمال، أو عدم الاستقرار النفسي، صعوبات في استخدام اللغة أو حتى في الرغبة بالتواصل. إذ تتداخل العوامل النفسية مع الجسدية لتشكيل بيئة متكاملة تؤثر في قدرة الطفل على تلقي اللغة واستخدامها بشكل فعال.

إذا فتلك الجوانب الصحية والجسمية والحسية وأيضاً السمعية والنطقية لها دورها المهم في اكتساب اللغة وعلاقتها بالنمو اللغوي لدى الطفل، إذ تؤثر حالة الطفل الصحية على اكتساب وتقديم لغة الطفل.

إضافة إلى هذا هناك عوامل أخرى "تؤثر بشكل سيء في نمو لغة الطفل وهي:

_ أطفال المؤسسات والملاجئ نلاحظ أنهم أفقر لغوياً، للإهمال الشديد للأطفال

_ الاضطرابات الانفعالية والاجتماعية

_ العلاقات المضطربة بين الطفل والأم

_ الخلل في العوامل الجسمية

_ المستوى الثقافي المتدني عند الأهل .

كل هذه العوامل تؤثر في اكتساب اللغة عند الطفل، لكنها قد تشتت فتصبح أكثر سلبية على الطفل كأطفال الملاجئ، لذا ينصح بمخاطبة الأطفال بلغة سليمة و تشجيعهم على التعبير، والاهتمام بتنمية مهارات الطفل اللغوية.

5. خاتمة:

خلاصة القول إن اللغة بأشكالها المختلفة، سواء كانت استماعاً أم محادثة أم قراءة أم كتابة، تشكل الإناء الذي تحدث فيه معظم الأنشطة الإنسانية، سواء أكانت عقلية أم اجتماعية أم انفعالية أم جسمية، فاللغة هي الركيزة الأساسية في بناء شخصية الطفل العقلية والفكرية والنفسية والاجتماعية، وبها يتعلم ويفكر ويفهم العالم من حوله، وهي الوسيلة الأهم التي تمكن الأطفال من التوافق مع الآخرين، والتواصل وتبادل الخبرات معهم.

6. قائمة المراجع:

- أبييب عبد الله محمد النوايسة، و القطاونة إيمان طه. (2016). النمو المعرفي واللغوي للطفل. عمان: دار الإحصار.
- أحمد حساني. (2009). دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغة (الإصدار 2). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- حلمي خليل. (2003). دراسات في اللسانيات التطبيقية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- رمزي منير بعلبيكي. (1990). معجم المصطلحات اللغوية. بيروت: دار العلم للملايين.
- سهير محمود أمين عبد الله. (2005). اضطرابات النطق والكلام التشخيص والعلاج. القاهرة: عالم الكتب.
- عماد عبد الرحيم الزغلول. (2010). نظريات التعلم. عمان: دار الشروق.
- فاطمة عبد الرحيم النوايسة. (2013). أساسيات علم النفس. المملكة العربية السعودية: دار المنهل.
- محمد زياد حمدان. (1997). نظريات التعلم: تطبيقات علم نفس التعلم في التربية. سوريا: دار التربية الحديثة.
- معاوية محمود أبو غزال. (2015). علم النفس العام. عمان: دار وائل.
- ه. دوغلاس براون. (1994). أسس تعلم اللغة وتعليمها. بيروت: دار النهضة العربية.
- هدى محمود الناشف. (2007). تنمية المهارات اللغوية لأطفال ما قبل المدرسة. عمان: دار الفكر.